يرادبنا فلا مرد له أو أن هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصده من الرياسة والترفع
على العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريده كل أحد أو أن دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا
بالذي يقوله في الملة الآخرة في الملة التي أدركنا عليها آباءنا أو في ملة عيسى عم التي
هي آخر الملل فإن النصارى يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أي ما سمعنا من أهل
الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة إن هذا إلا اختلاق كذب
اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم
في الشرف والرياسة لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأمثال ذلك دليل
على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك
من ذكري من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم
ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب إن هذا إلا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم
العذاب فيلجئهم إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك بل أعندهم خزائن رحمته
وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع
له فإنه العزيز أي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء
ثم رشح ذلك أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما كأنه لما أنكر عليهم التصرف في
نبوته بأن ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل
في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا
فيها فليرتقوا في الأسباب جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج
التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من
يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد

بالأسباب

بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم
من الأحزاب أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما
قريب فمن أين لهم التدابير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية أو فلا تكترث بما
يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم
ما بعده وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت
المطنب بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد
يشد البناء وقيل نصب أربع وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها
أوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب وهم قوم شعيب
أولئك الأحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم إن كل
إلا كذب الرسل بيان لما أسند إليهم من التكذيب على الإبهام مشتمل على أنواع
من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق
عقاب وهو إما مقابلة الجمع بالجمع أو جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك أو الأحزاب فإنهم كالحضور لاستحضارهم
بالذكر أو حضورهم في علم الله إلا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين أو رجوع وترداد فإن فيه يرجع اللبن إلى الضرع
وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا
من العذاب الذي توعدنا به أو الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه إذا قطعه ويقال
لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا
ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون و

Copyright © King Saud University